# مهنة الطالب الجامعي من طلب العلم إلى تسول الشهادة

**أ.د نسيمة مخداني**
قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر2

**تاريخ الإرسال:** 17-10-2018- **تاريخ القبول:** 21-12-2018

**ملخص**

استناداً إلى المعطيات والحقائق المدونة في دراسة ميدانية أجريت بالجزائر العاصمة سنة 2017، نهدف في هذا المقال إلى المساهمة في التفكير حول وضعية التعليم العالي في الجزائر من خلال تحليل آراء ورؤى وقناعات الطلبة حول الأزمة الحالية لهذا القطاع وقياس مدى إدراكهم ووعيهم بالأسباب التي أدت إلى احتلال الجامعات الجزائرية لذيل الترتيب في سلم تصنيف الجامعات العالمية. وقد حاولنا رصد الحواجز التي تقف عائقاً أمام إنتاج الجامعات الجزائرية للمعرفة الموضوعية وتكوين الإطارات اللازمة لقيادة الاقتصاد الوطني. واخترنا الطلبة لتناول هذه الجوانب لكونهم شريحة اجتماعية تعايش الواقع اليومي للإختلالات الوظيفية للنسق الجامعي، ولأنهم أفضل شاهد على تدني المستوى العلمي والثقافي وحتى الأخلاقي لمنظومة التعليم العالي في الجزائر.

**الكلمات الدالة:** التعليم العالي؛ الطالب الجامعي؛ الجامعة.

**Résumé**

Sur la base des données d’une enquête de terrain, réalisée en 2017 à Alger, nous proposons dans la présente contribution une analyse de la crise du système d’enseignement supérieur en Algérie. Nous l’avons traitée à travers la vision et les convictions des étudiants en tant que partie concernée par cette question. Nous avons essayé de mesurer leur conscience quant à ce qu’ils pensent être les raisons qui ont amené les universités algériennes à être classées à la dernière place dans le classement des universités. Nous avons également essayé de cerner les obstacles qui empêchent les universités algériennes de progresser vers la production de connaissances scientifiques de haut niveau et la formation de cadres compétents capables de diriger l'économie nationale. Le choix des étudiants comme population d’enquête est motivé par le fait qu’ils sont directement concernés par les déséquilibres fonctionnels du système universitaire, et de ce fait, bien placés pour témoigner du faible

niveau scientifique, culturel et même moral du système d'enseignement supérieur en Algérie.

**Mots-clés**: enseignement supérieur ; étudiant universitaire; université.

**Abstract**

On the basis of a field survey' data conducted in 2017 in Algiers, we propose to contribute in this article to the analysis of the crisis of the higher education system in Algeria. We will deal with this crisis through the analysis of the vision and beliefs of the students as a party concerned by this issue. We have tried to measure their awareness of the reasons that led Algerian universities to be last ranked in the classification of universities. We have also tried to identify the obstacles that prevent Algerian universities from progressing towards the production of high-level scientific knowledge and the training of competent executives capable of leading the national economy. Our choice of students, as survey population is motivated by the fact that they constitute a category implicated in the daily reality of the functional imbalances of the university system, and thus present themselves as a better witness of the weakness of the scientific, cultural, and even moral level of the higher educational system in Algeria.

**Key words**: higher education; student; university.

## مقدمة

نريد من خلال هذا المقال تسليط الضوء على شريك مهم في التعليم العالي ألا هو الطالب وذلك من خلال دراسة سلوكه في المجال الأكاديمي في محاولة للإحاطة بجانب من حقيقة الجامعة الجزائرية ودورها في صنع رأسمال بشري مسلوب الوعي والمواقف، متذبذب في تصور مصيره.

وفي هذا الإطار ننوّه أن دور الجامعة هو إنتاج مورد بشري ذو مردودية للمجتمع الذي يعيش في عصر يحتاج إلى فكر، ثقافة، وعي بالمسؤولية، نظام، فعّالية في التدخل، وحيوية في الإبداع التطبيقي الفعّال والقدرة على الإنتاج، كما يحتاج أيضا إلى إنتاج إنسان يقف في وجه الصدارة مواجهًا، بإيجاد الحلول، لأي صعاب تواجهه كشخص و تواجه مجتمعه كفرد فعّال فيه.

ومن ثمّ يصبح عليها مسؤولية أخرى هي « الاهتمام بتنمية القيادة الاجتماعية القادرة على التفكير والإبداع والابتكار، إن القيادة القادرة على التغيير ينبغي أن يتسع مفهومها وثقافتها » (عبد الغني، يونيو 2004)

فالطالب الجزائري يدخل إلى الجامعة وهو مجموعة شحن من الطاقة الخام، التي تفجرها الجامعة بأزماتها غير المنتهية إلى طاقات من الإحباط، وعدم المسؤولية، والاعتماد على الغير، والأنانية في الوصول للهدف.إن الطلبة حاليا،« غير قادرين على اتخاذ المبادرات، وأن يصبحوا فاعلين في الميدان الثقافي الجامعي، فأرادتهم في التعليم ورغبتهم في أن يكونوا ايجابيين اصطدمتا بطبيعة المؤسسة الجامعية المحبطة » (مخداني، 2013) وهدا ما يتضاد مع الدور الحقيقي للجامعة والتعليم العالي الذي « يتطلب تفجير الطاقة الذاتية لكل فرد وتثبيت المبادئ الأولية لإغناء هذه الطاقة نفسها بنفسها، وتطوير ذاتها عبر مراحل الحياة كلها » .(Lebeaume, 2000)

فالنجاح الجامعي« يمر عبر تعلم مهنة الطالب، ولا يفيد الدخول الجامعي بشيء إذا لم يكن مصحوبا بعملية انتساب أو توافق مؤسساتية وثقافية... » (Coulon, 1997)

وهذا الأمر يقودنا إلى التفكير في وضع جامعتنا وما هي الخصائص التي يجب أن تتبناها الآن من أجل توفير فرص الاستخدام المتعدد الذي سيكون أمرًا بالغ التعقيد ولكنه سيكون سببا لتصميم مدني مبدع.

يحتاج الطالب الجامعي في مجال الجامعة إلى حب الاعتراف به وتقديره كشخص، ورغبته في المشاركة وإسماع صوته والإدلاء برأيه الذي من شأنه تفجير طاقاته الكامنة الحبيسة التي تنتظر الإنطلاق، فتنوع إستراتيجياته في سبيل توفيقه الإجتماعي في تحقيق طموحه الوحيد هو الحصول على الشهادة ما هو إلاّ إنعاكس للواقع المزري الذي تتخبط فيه الجامعة الجزائرية اليوم.

فانسحابه وعزوفه عن المشاركة في الحياة الجامعية والمعرفية والأكاديمية المنظمة، يعكس بدوره أزمة ثقته في مؤسسات المجتمع عامة وفي العمل الجمعوي خاصة.

فالتعليم الجامعي يؤدّي اليوم إلى « قتل روح المشاركة في الطلبة وإلى تنمية روح السلبية وفقدان الإحساس بالمسؤولية ويضعف بشكل كبير مشاركة الطالب في الموقف التعليمي كما يعتمد على حشو أذهان الطلاب بالمعارف والمعلومات المتنوعة

دون تنمية مهارات التحليل والاستنباط والاستنتاج الفكري، التي هي الطريقة إلى الإبداع والإبتكار » (بو عبد الله، 1998)

## 1. اعتبارات معرفية

### 1.1 تحديات التعليم العالي

حضي التعليم العالي في الجزائر بالكثير من الجهود من أجل تطويره وتحسينه وزيادة كفاءاته لتحقيق الأهداف المرجوة، ومع ذلك فإن الحاجة إلى التطوير والتحسين لا تزال مستمرة بغية الوصول إلى الجودة اللازمة للإسهام في تحقيق الأهداف التنموية للبلاد.

يواجه التعليم العالي في الجزائر ضغوطات شديدة، تدفع لتدني الفعالية الداخلية ومستوى الخريجين، في معظم الحالات، وهذا راجع لارتفاع الطلب الاجتماعي المتزايد على هذا المستوى من التعليم، بالإضافة إلى الضعف في توجيه الطلبة نحو فروع التعليم العالي المتنوعة بناء على قدراتهم واهتماماتهم، وهذا« يعتبر مؤشرا على أن هناك حاجات غير مشبعة للطالب داخل البيئة الجامعية ،وهذا يؤدي إلى نقص مستوى التوافق المجتمعي الجامعي لديه مما يترتب عليه نقص أو تعثر أرائه أثناء فترة التعليم وما بعدها.» ( جعفر جمل الليل، 1993)

كذالك تضخم أعداد الطلبة في بعض الاختصاصات وتقلصها بشكل واضح في التخصصات الأخرى، وكذا غياب التنسيق بين سوق العمل وبين الجامعات لتحديد المتطلبات، باعتبار أن التعليم العالي آخر مرحلة في المنظومة التعليمية، يمد سوق الشغل برأس المال البشري المكون مفروضا تكوينا عاليا ومتخصصا في مختلف الميادين والمؤهل خاصة والقادر على التكيف مع التحولات التكنولوجية والاقتصادية المحلية والعالمية وبالتالي الذي يحقق النمو الاقتصادي المرجو، إلا أن العديد من المعوقات، تدفع بطريقة أو بأخرى لعدم إنتاج موارد بشرية أي مخرجات ذات جودة يمكن الاعتماد عليها، فغالبا ما رافق النقص في الخريجين المؤهلين في بعض التخصصات، البطالة وسوء استخدام لأعداد كبيرة منهم في تخصصات غير تخصصاتهم. فهذه الفئة «متأزمة لا تمثل حركة إجتماعية .. فهي مكبلة بخوفها من شبح البطالة وخطر

السقوط الاجتماعي بالإضافة إلى شلل أصابها بسبب الأزمة الشاملة للمنظومة الجامعية.» (Touraine, 1978)

فالجزائر على غرار الدول العربية والعالمية كانت ولا تزال تعاني من هذا المستوى المتدني لمخرجات التعليم العالي، لكن ولتدارك هذا توصلت العديد من الدول المتقدمة للاستثمار في هذا المجال واعتمدت على الجودة كمؤشر وعنصر مهم في التقدم والتطوير، وهذا استنادا على ما جاء في أحد الأهداف المسطرة من طرف اليونسكو لتحسين كافة جوانب التعليم للوصول إلى وضع يحقق فيه جميع الطلبة التميز ونتائج معترف بها ويمكن قياسها وبالتالي الوصول إلى تعليم ذي جودة عالية ، سيقود إلى فوائد اجتماعية واقتصادية جمة، حسب ما توصلت إليه دراسات كل من شولتز Choutler وبيكر Beacker في تفسيرهما لعوامل النمو الاقتصادي، وحول الدور الذي يلعبه التعليم كعامل أساسي لتحقيق النمو، أدى هذا إلى تغيير النظرة للتعليم واعتباره أحد العوامل الهامة التي يجب الاستثمار فيها. (الجهني، 2015)

ونتيجة لهذا تم التركيز على مفهوم الجودة، لتحسين الأداء بكفاءة أفضل، وتحقيق جودة التعليم يتطلب توفير عوامل مالية، مادية وبشرية كتوجيه لكل الموارد البشرية، والنظم والمناهج والبنى التحتية من أجل خلق ظروف مواتية للابتكار والإبداع، ولعل أهم دور يتم التركيز عليه هو دور أعضاء هيئة التدريس والباحثين لاعتبارهم من أهم العوامل التي تؤثر على العملية التعليمية.

ننوه في هذا الأمر أن دور هيئة التدريس لا يكتمل إلا إذا اكتمل معه مشاركة من الجميع لضمان البقاء والاستمرارية، فأداء كل من له علاقة بالتعليم العالي لدوره، فالجزء يكمل الكل، كما أن الطالب هو حجر الزاوية في العملية التعليمية التي من أجلها أنشأت الجامعة، وللوصول لجودة التعليم العالي لا بد من الأخذ بعدد من المبادئ الواجب توفرها في الطالب لكي يصبح قادرا على التفاعل مع بقية عناصر العملية التربوية لتحقيق الأهداف المنشودة من النظام التربوي، وكذا جودة المباني وتجهيزاتها، التي تعتبر هي الأخرى أداة فعالة لتحقيق الجودة في التعليم.

إن اعتماد الجودة كمبدأ لتحسين مخرجات التعليم العالي نظام تربوي قائم، فتطبيقه كنظام هو آلية تهدف لتحقيق الأفضل على مستوى مخرجات النظم التعليمية كمحصلة ختامية للفعل التعليمي، وتكون مستهدفة لجملة من العناصر المكونة للنظام

التعليمي الجامعي، وتهدف إلى إدخال جملة من التغييرات ليصل إلى تحقيق التقدم والتطور، لهذا شمل نظام الجودة كل من هيئة التدريس، المناهج التعليمية والإدارة وعلاقاتها فيما بينها.

لذلك من أبرز تحديات الجامعة هي تحقيق الجودة في مخرجاتها، فلم تنشأ الجامعات وتَخصَص لها ميزانيات ضخمة إلا لتحقيق مصالح عليا في المجتمع، يمكن الجزم بتحقيقها إذا تم الارتقاء بمستوى مخرجات التعليم الجامعي واكتسابها للمهارات اللازمة لكن الأمر يتطلب كفاءات جديدة ومبتكرة وموارد رفيعة المستوى، وعليه أصبح ينتظر من هيئة التدريس المساهمة الفاعلة في تحقيق هذه الأهداف.

على الرغم من كل تلك المجهودات المبذولة من طرف الفاعلين إلا أنّنا نلاحظ أن هناك تدني في مستوى الخرجين الجامعيين، هذا ما تؤكده نتائج الدراسات، وآراء الأكاديميين و الباحثين في الميدان.

وأحسن طريقة لإصلاح هذا الخلل، هو تحقيق أهداف و غايات المجتمع من جهة، والمساهمة في حصول المؤسسة الجامعية على الاعتماد الأكاديمي من جهة أخرى، فمن المناسب بداية تحديد معايير هيئات الاعتماد الأكاديمي المتعلقة بمخرجات التعليم الجامعي أولا، ومن ثم تشخيص واقع مستوى مخرجات التعليم الجامعي، باعتبار أن تشخيص الواقع يمثل خطوة مهمة للنجاح، "إذا عرف السبب بطل العجب".

### 2.1 واقع الجامعة والتعليم العالي في الجزائر

يستقبل التعليم العالي في الجزائر « أعدادا متزايدة من الطلاب سنة بعد أخرى، ويواجه أيضا ضعفا كبيرًا في هياكل الاستقبال والوسائل البيداغوجية ونقصًا فادحًا في هيئة التدريس ذات الخبرة العالية، وكذلك ضعفًا شديدًا في أساليب التسيير والتنظيم والإستغلال لما هو موجود». (بوخلخال،1993)

إن خريجي الجامعة الجزائرية بفعل عددهم الكبير نسبيًا، « لم تعد لهم تلك المكانة السابقة التي كانت لأسلافهم من خريجي الخمسينات والستينات، فالتطوّر الكمي الكبير الذي عرفته المنظومة التربوية أدى إلى ابتذال الشهادات الجامعية، وبالتالي ابتذال الطلبة الحاملين لهذه الشهادات ». (مخداني، 2013)

تعود الأزمة العميقة التي تعيشها الجامعة الجزائرية إلى « تراكم تاريخي لمشكلات مادية أخلاقية، بيداغوجية، ... ناتجة عن تسيير لا عقلاني، عطّل وظيفة الجامعة الطبيعية.» (مخداني، 2013، ص 214) فحالة التأزم الحاصل في الجامعة الجزائرية، كما أكد الياس مايري – Liés Mairi «أبعد بكثير من أن توحي بأي نوع من التفاؤل، وأنها أشبه بحالة المريض الذي يصارع الموت في مصلحة العلاج المكثف ». (Mairi, 1994)

لم تخرج الجامعة الجزائرية عن هدفها التقليدي : التدريس، والبحث العلمي، وخدمة المجتمع، غير أن هذه «الأهداف فارغة من محتواها المعرفي، أي لم يتجه التدريس أو البحث العلمي أو خدمة المجتمع إلى الجانب الإبداعي والإنتاجي في مجال المعرفة. بل اكتفى ، بشكل عام ، بمجرد توفير الحد الأدنى من المعرفة التي تؤهل المتخرج ليحصل على شهادة ووظيفة، وبقيت الجامعة تابعة لما تنتجه جامعة المراكز الحضارية ». (مخداني، 2013)

حيث لا يزال دور الجامعة الجزائرية متدنيًا من حيث النوعية، والتعليم فيها« أقل مستوى مما أنجزه التعليم العالي –مثلاً– في بلدان شرق آسيا التي بدأ نموها بعدنا، ولكن الفرق بينها وبيننا كبير جدًا وهذا على مستوى البلاد النامية.» (نفس المرجع، ص438) بهذا أصبحت الجامعة وسيطا بين مراكز إنتاج المعرفة والمجتمع، وتحسن الاستفادة من المعرفة واستعمالها وتوظيفها،وهذا ما أدى بواقع الجامعة الجزائرية والتعليم فيها ليس بموضع المقارنة من حيث الكم والكيف مع الجامعات الغربية وبالبلدان الصناعية عموما من حيث إنتاج المعرفة عامة.

### 3.1 نقائص وسلبيات المنظومة الجامعية الجزائرية

هناك شبه إجماع على أنَّ المنظومة الجامعية الجزائرية تعاني من عدة نقائص وسلبيات نجملها فيما يلي:

- سوء التسيير الذي يمس كل المستويات ويخص كل الهياكل، فلا يعقل أن يتحسن أداء الجامعة إذا لم تتوفر إدارة حكيمة تنظم مختلف الأقسام والكليات المسؤولة عن سير التعليم العالي، وتسهل وظيفة كل عضو من أعضاء الجامعة.
- ضعف التأطير إما على مستوى الكم أو الكيف فهناك تخصصات تفتقد لهيئات تدريس مؤهلة، وهذا سينعكس لا محالة سلبًا على جودة التعليم المقدّم وقيمة المعارف المقترحة،

فالعديد من الخبراء يلحون على مسألة تكوين المكونين بإتباع استراتيجيات صارمة ومنهجيات دقيقة لتحسين بيداغوجية التعليم العالي.

- غياب الوسائل الضرورية والإمكانيات اللاّزمة من منشآت وتجهيزات وإن وجدت تعذر استغلالها بالشكل العقلاني اللازم والمناسب.
- انعدام الإرادة والرغبة لدى أغلب الطلبة، فمعظمهم يصاب بالإحباط وأكثرهم لا يجد المحفّزات الضرورية للاجتهاد والتفاني في الدراسة.

ينبغي على التعليم أن يكون متواصًلا بتواصل الحياة نفسها، والتأكيد على أن المعرفة قوة وثروة ووجود، وإنها الإنسان حينما يكون مبدعًا وخلاقًا ومنتجا للمعرفة، إضافة إلى ذلك فإن التعليم أحد المعابر القوية التي تعمق ثقافة المجتمع التي ينبغي أن تكون نسبية غير مطلقة، منفتحة غير مغلقة متجددة غير جامدة، قادرة على التفاعل مع الثقافات كافة بتسامح وحرية و إبداع.

إنّ أبرز عيب يشوب نظامنا التعليمي هو غلبة عنصر التلقين عليه وهو ما يتجسد في نظام "الإجابة النموذجية" التي يسعى الطالب إلى الالتزام بها ويحكم المصحح على أدائه من واقعها، وعلى كثرة ما قيل عن ضرورة إتاحة المجال لإعمال الذهن وتنمية التفكير الإبتكاري وتشجيع المبادرات الخلاقة لدى طلابنا فما يزال أسلوب التلقين– من الناحية الفعلية– هو الغالب على مناهجنا الدراسية، ويعكس ،على الصعيد الفكري الأوسع نطاقًا، غلبة النقل على العقل، والمحاكاة على الأصالة والإتباع على الإبداع.

**2. المعاينة الميدانية**

أول معطى نقف عنده في هذا الإطار هو اعتبار مرحلة تحليل المعطيات الميدانية كمرحلة مهمة تستدعي استغلال الحقائق الإمبيريقية وتثمينها بطريقة ديالكتيكية أي بالربط الجدلي بين الفرضيات المصاغة والحقائق النظرية والمعطيات الميدانية.

ولهذا السبب بالضبط سنحاول من جهة ألا نتجاهل السياق العام الذي تحدده الأبعاد السابقة والفرضيات المبلورة، وألا نخرج عن المعلومات المستقاة من الميدان من جهة أخرى، ولكي ينسجم التحليل ويتعمق ارتأينا تقديم نظرة شمولية تتجاوز الرؤية التجزيئية والطرح الضيق الذي لا يتماشى مع المقاربة السوسيولوجية الواعية. وثاني معطى نقدمه هو تجاهلنا الواعي للجداول التي ليست لها دلالة سوسيولوجية أي

الاكتفاء بتلك التي تخدم البحث وتعمق التحليل فالاعتماد على عدد معين من الجداول لم يتم بطريقة تعسفية بل كان وفق تصور شامل لأهداف المقال ولمغزى الفرضيات.

ركزت قراءتنا في هذا المقال على المشاكل التي تعرفها الجامعة الجزائرية، والغرض الأسمى الذي أردنا تحقيقه هو الوقوف عند الحواجز التي تعرقل أداء الجامعة لوظيفتها على أحسن وجه من جهة، واقتراح الحلول بشكل غير مباشر من جهة آخرى. كما توخينا الحذر في رسم واقع الجامعة الجزائرية كما يتصورها الطلبة، وهذا للعديد من الاعتبارات:

- في الحقيقة هناك تصورات عديدة الطلبة تختلف حسب قناعاتهم ومرجعياتهم الاجتماعية.
- رؤى الطلبة تحمل أبعاداً ذاتية وترتكز على أحكام قيمية.
- نسجنا خطاباً موضوعياً، يرتكز على إجابات الطلبة وعلى القراءات المنجزة في إطار البحث كذلك.

**1.2 الفرضيات و الضوابط المنهجية**

**الفرضية الأولى :** يكمن مصدر الأزمة التي تعرفها الجامعة الجزائرية في عدة أبعاد منها ماهو تنظيمي (سوء التسيير الإداري) ومنها ما هو انضباطي (إهمال الأساتذة، ولامبالاة الطلبة) ومنها أخيراً ما هو أخلاقي (السلوكات المخلة بالآداب العامة).

**الفرضية الثانية:** يهمل الطلبة في تصورهم لواقع الجامعة الجزائرية اعتبارات الكفاءة والعقلانية بسبب تركيزهم على الأمور الشكلية والقضايا الأخلاقية البحتة.

نؤكد بخصوص المنهجية المتبعة في هذه الدراسة أننا اتبعنا منهجية كمية، التي تستند إلى معطيات رقمية وحقائق عددية تجسدت في جداول بسيطة ومركبة. كما لم نستبعد القراءة الكيفية التي تتجاوز التحليل الإحصائي السطحي بل حاولنا الكشف عن الدلالات المعرفية والإيحاءات السوسيولوجية التي تعبّر عنها إجابات المبحوثين.

أما بالنسبة للعينة، فلم يكن باستطاعتنا اختيار عينة تمثيلية تمس الطلبة كمجتمع بحث، وهذا لسبب بسيط وهو أن مختلف الأقسام التي تشكل جامعة الجزائر، لا تتوفر على الإحصائيات التي تخص طلبتها خاصة توزيعهم حسب الجنس أو السن أو حتى السنة الدراسية. ولهذا وفي غياب قاعدة للسبر استحالت علينا فرز عينة

احتمالية. لذلك تم اختيار مفردات العينة التي كان عددها 3800 طالب وطالبة من جامعة الجزائر 1- 2- 3، بطريقة قصدية مع احترام الخصائص المذكورة سابقا. كما تمت الدراسة من مارس 2017 إلى جوان 2017.

لقد استلزم موضوع بحثنا استعمال تقنية الاستمارة، لأنها تناسب وتلائم الموضوع المدروس، وأكثر من ذلك لأنها تعطي «بعدًا توسيعيًا أكبر للبحث، وتحقيقا إحصائيًا حتى نتمكن من تعميم المعلومات المتحصل عليها وكذا الفرضيات المبنية مسبقًا». (Combessie, 1999, p. 33.)

لم يكن لم يكن اعتمادنا على الاستمارة عشوائيا، بل إستنادا إلى عدة معطيات نجملها فيما يلي:

- كبر حجم العينة والذي يقدر بـ 3800 وحدة.

- تطلب الموضوع طرح العديد من الأسئلة، كما أن دقة العديد منها، وتفرعها جاء لتترجم الإستمارة المعتمدة « هدف البحث في أسئلة محددة لدفع وتحفيز المستجوبين على تقديم أجوبة محددة لها علاقة بهدف الدراسة ككل ».(Grawit, 2001)

## 2. تحليل المعطيات الميدانية

نسعى انطلاقاً من معطيات هذا الجدول إلى الاقتراب أكثر من الواقع الموضوعي الذي ينشط في إطاره الطلبة مستندين إلى مدى تكيفهم مع الوسط الجامعي والظروف المعيشية المحيطة بهم.

**الجدول رقم (1): يوضح مدى تأثيرمكان إقامة الطلبة على تكيفهم مع الوسط الجامعي**

| التكيف / مكان الإقامة | بسهولة | بصعوبة | لم يتكيف | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| مع العائلة | 940<br>**59.87%** | 480<br>%30.57 | 150<br>%09.55 | 1570<br>%100 |
| في الحي الجامعي | 810<br>%39.13 | 1030<br>**%49.75** | 230<br>%11.11 | 2070<br>%100 |
| مع الأقارب | 40<br>%25 | 100<br>**%62.5** | 20<br>%12.5 | 160<br>%100 |
| المجموع | 1790<br>%47.1 | 1610<br>%42.36 | 400<br>%10.52 | 3800<br>%100 |

أول ملاحظة شدت انتباهنا في قراءة هذا الجدول هي أن الطلبة الذين يقيمون مع عائلاتهم لم يجد معظمهم صعوبة في التكيف مع الشروط الموضوعية التي تشرط حركتهم داخل النسق الجامعي بنسبة 59.87% . في المقابل وجد الطلبة الذين يقطنون الحي الجامعي صعوبة في التكيف مع الظروف المحيطة بالدراسة بنسبة 49.75% وبنسبة 62.5% لدى الطلبة المقيمين عند أقاربهم أو الذين يسكنون عند أقاربهم.

نستقي من المعطيات الرقمية السابقة مغزى واقعي مفاده أن الطلبة الذين يسكنون الحي الجامعي يعانون من ظروف معيشية غير لائقة وغير محفزة خاصة من حيث خدمات النقل ووجبات المطعم ومميزات الإقامة.

يضاف إلى ما ذكرناه أن الجامعة من حيث تنظيمها وطرق سيرها ووسائلها البيداغوجية تختلف إلى حد بعيد عن تلك التي وجدها الطلبة في الثانوية، وهذا ما يزيد الأمر تعقيداً حيث يبدو على الطلبة في عديد الأحيان أنهم مشردين وتائهين لا يدركون وجهتهم الحقيقية. لأنهم يجدون أطرا ثقافية جديدة، وعليهم أن يتبنوها، «وذلك بنسيان واستبدال الأطر ما قبل الجامعية... حتى يتم التحكم في رموزها.»

(Alain Coulon, opcit, p11)

يعتبر مطلب التوافق مع المجتمع الجامعي مطلباً أساسياً لنجاح الطلبة واستمرارهم في الدراسة، يجب توفره كي يقوم الطلبة بأداء مهامهم على أكمل وجه أثناء التعلم. وعدم توفر هذا النوع من التوافق يعتبر مؤشراً على وجود حاجات غير مشبعة لدى الطلبة داخل البيئة الجامعية التي يدرسون فيها، وعدم إشباع جزء من هذه الحاجات سيؤدي

إلى نقص في مستوى التكيّف مع المجتمع الجامعي عند الطلبة مما يترتب عنه قصورا في أداء الطلبة لواجباتهم الدراسية، وتعثراً في تجسيد طموحاتهم التعليمية.

**الجدول رقم (2): يبين مدى انتماء الطلبة إلى المنظمات الطلابية**

| الانتماء | التكرار | النسبة |
|---|---|---|
| **ينتمي** | 340 | % 08,94 |
| **لا ينتمي** | 3460 | %91.05 |
| **المجموع** | 3800 | %100 |

نتناول استناداً إلى النسب المئوية المسجلة في الجدول مسألة ذات فائدة جمة تتمثل في استقراء نظرة المبحوثين إلى المنظمات الطلابية من حيث فعاليتها وقدرتها على التخفيف من حدة المشاكل التي تعترض الطلبة في مسارهم التعليمي، منطلقين في هذا السياق من مدى انتماء المستجوبين إلى تلك المنظمات ونشاطهم ضمنها، لأننا نعتبر تجند الطلبة للدفاع عن مصالحهم مؤشراً لوعيهم بقضاياهم وانشغالاتهم وإلا فهم لا يستطيعون تجسيد ذواتهم وتحقيق طموحاتهم بل الأدهى من ذلك أن يصبحوا غير مدركين لواقعهم ومن ثم يمتلكون وعياً غير مطابق للتحديات التي يواجهونها.

ما أثار فضولنا المعرفي بهذا الصدد هو أن نسبة 91,05 % من طلبة عينتنا لا ينتمون إلى أية منظمة طلابية وكأن الطلبة لا يعنيهم ذلك وبأن الوضع المزري الذي وصلوا إليه لا يحثهم على التكتل الشرعي للمطالبة بأدنى حقوقهم. على الرغم من أن هذه الجماعات «سوف تكون قادرة على تحقيق الأغراض والأهداف المشتركة بشكل أكثر فعالية» (فرانسيس فوكوياما، 2000 ،ص7)

نشير في السياق نفسه إلى حقيقة خفية مؤداها أن الظروف غير اللائقة وغير الملائمة التي يوجد فيها الطلبة تساعدهم بشكل غير مباشر لاستغلالها كمطية لتبرير إخفاقاتهم، والتقليل من المجهود لتحسين أدائهم والرفع من مستواهم.

هذا في الواقع من مميزات المجتمعات المتخلفة التي لا توظف مؤسساتها وتنظيماتها بصورة عقلانية تثري التفاعل البناء والحوار المفيد والمواجهة الجريئة والصريحة.

**الجدول رقم (3): يوضح موقف الطلبة من خدمات المنظمات الطلابية**

| الموقف | التكرار | النسبة |
|---|---|---|
| الرضى | 1320 | % 34,73 |
| عدم الرضى | 2480 | % 67,26 |
| المجموع | 3800 | % 100 |

يتبين لنا من قراءة الجدول أعلاه أن أغلبية المبحوثين ليسوا راضين عن الخدمات المقدمة من طرف المنظمات الطلابية وذلك بنسبة 67.26 % وحسب تعليلات هؤلاء الطلبة فإن المنظمات الطلابية إما أنها تخدم المصالح الضيقة لأعضائها وإما أنها مشغولة بالصراعات السياسية (الحزبية) الدائرة فيما بينها أو أن الأحداث تجاوزتها بسبب قلة فعاليتها وضعف مردودها. وهذا ما يسميه مرتون Merton الوظائف الكامنة للجهاز السياسي الحضري «الذي يواجه حاجات الجماعات المختلفة والتي لا تشبعها المنظمات الرسمية». (Boudon, 1990)

ومن المفارقات التي لمسناها في مواقف أغلبية الطلبة موقفين أساسيين:

**أولهما:** النظرة السلبية التي يحملها الطلبة عن منظماتهم لم تتبعها إرادة للانخراط فيها لمحاولة التغيير والتبديل، كأن النظرة السلبية التي تحملها ذوات الطلبة كسرت طموحاتهم وهزت ثقتهم بأنفسهم.

**ثانيهما:** هناك العديد من الطلبة رغم أنهم لا ينتمون إلى المنظمات الطلابية إلا أنهم راضون عن خدماتها، مع ذلك فهم لا يحبذون الانضمام إليها وهذا مؤشر آخر على سلبية الطلبة وهم يتموهون مع الأوضاع المزرية التي يعيشونها بدل أن يحاولوا تجاوزها بعقلانية.

تعتبر طبيعة العلاقة السائدة بين الطلبة عاملاً محدداً لبعض الممارسات والتصرفات التي يسلكونها في النسق الجامعي ومن ثم يمكننا بإدراكها تفسير بعض الأمور العالقة المرتبطة بمواقف الطلبة من بعضهم البعض والتي تؤثر دون شك على مدى تعاون الطلبة وتضامنهم في ميدان الدراسة والتحصيل.

**الجدول رقم (4): مدى تأثير متغير الجنس على تصورات الطلبة لطبيعة العلاقة السائدة بينهم**

| طبيعة العلاقة / الجنس | علاقة تضامن | علاقة مصالح | الاثنين معاً | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| ذكر | 510 | 560 | 140 | 1210 |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | %42.14 | %46.28 | %11.57 | %100 |
| **أنثى** | 1000<br>%38.61 | 1040<br>%40.15 | 550<br>%21.23 | 2590<br>%100 |
| **المجموع** | 1510<br>%39.73 | 1600<br>%42.1 | 690<br>%18.15 | 3800<br>%100 |

تشير أكبر نسبة مئوية من إجابات أفراد عينتنا والمقدرة بـ 42.10% إلى أن علاقة الطلبة تحكمها المصالح الشخصية وقد حددوها بعدة المؤشرات الملموسة منها:

- يفضل العديد من الطلبة مصاحبة من هم ميسورين مادياً وخاصة من يملكون سيارة.
- يتقرب بعض الطلبة من زملائهم أيام الامتحان فقط ليعيرهم الدروس ويراجعونها معهم.
- تشتكي بعض الطالبات من زملائهن في الدراسة فهن يرفضن تحويل تلك الزمالة إلى علاقات مشبوهة أو مخلة للآداب حسب تعبيرهن.

ترى نسبة 38.61% فقط من الإناث أن العلاقة التي تربط الطلبة فيما بينهم هي علاقة تضامن وهذا مؤشر على تكهرب واختلال حقل الاتصال الذي يسود بينهم.

ترتفع في المقابل هذه النسبة عند الذكور لتصل إلى 42.14% وهي نسبة لا تمثل الأغلبية فـ 46.28% من الطلبة الذكور يرون في طبيعة العلاقة التي تجمع الطلبة أنها علاقة مصالح.

نستنتج من هذه المعطيات أنه ينتشر عند أغلبية الطلبة سوء التفاهم والاتصال غير الفعال والتفاعل غير المجدي، هذا في الواقع يعيق إمكانيات استثمار الطلبة لجميع قدراتهم واستعداداتهم والأكثر من ذلك إنهم لن يوفروا الجو الملائم لتبادل الأفكار وتناغم الرؤى وتلاقح وجهات النظر. فهذه الثقافة السائدة في المجال الجامعي أصبحت تعيق نمو هذه الجامعة «فمخرجات التعليم العالي تسهم في نمو وتعاظم ذلك المحتوى الثقافي لذلك يمكن اعتبار التعليم سبب ونتيجة معا للمحتوى الثقافي بالمجتمع. » (محمد حسين،2011، ص17)

**الجدول رقم (5): يبين موقف الطلبة من أسلوب أساتذتهم في التدريس**

| الموقف | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| يعجب | 610 | %16.05 |
| لا يعجب | 3190 | %83.94 |
| المجموع | 3800 | %100 |

نستنتج من معطيات الجدول أعلاه أن أغلبية الطلبة لا يعجبهم أسلوب أساتذتهم في التدريس وهذا بنسبة 83.94%، ونحن نرى أن ذلك يسئ إلى القيمة التربوية والبيداغوجية لمنظومتنا الجامعية، وأكثر من ذلك إن الرسالة العلمية التي من المفروض أن يمررها الأساتذة لن تصل بمضمونها المناسب ومحتواها اللائق إلى الطلبة.

من خصائص الطرق التعليمية المعاصرة اعتماد الأستاذة على الحوار الفعال والنقاش المتبادل عوض التلقين والحشو، فلا يعقل أننا استقبلنا الألفية الثالثة بمناهج بيداغوجية تقليدية وأساليب تدريس بالية فمع التدفق الهائل للمعلومات والثورة المذهلة في وسائل الاتصال يحتاج الطلبة إلى التوجيه العقلاني والتأطير الممنهج وإلى طرق تعليم ملائمة لمعالجة الحجم الضخم للمعطيات التي يتلقونها.

**الجدول رقم (6): يوضح أساليب التدريس المفضلة لدى الطلبة**

| الأسلوب المفضل | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| المناقشة والحوار | 1660 | %40.98 |
| تفهم الطالب وتحفيزه | 880 | %21.72 |
| الشرح والتبسيط | 660 | %16.29 |
| ربط الأفكار بالواقع | 500 | %12,34 |
| الشرح والإملاء معاً | 350 | %08,64 |
| المجموع | 4050 | %100 |

وما لمسناه بصفة عامة في آراء الطلبة عن أشكال التدريس في الجامعة أنّ معظمها يفتقد إلى عنصر التشويق، ولا يستثير فضولهم ومن ثم لا تعمل تلك الأنماط التعليمية على جذب الطلبة وتحفيزهم على بذل المجهودات اللازمة لترقية مستواهم الأكاديمي.

نشير قبل البدء في تحليل معطيات الجدول إلى أن الطلبة قدموا اقتراحات مفيدة تربوياً نستطيع أن ننطلق منها كأرضية معرفية لإدراك الطريقة المثلى للتعامل بين

الأساتذة والطلبة ، ومن ثم إيجاد البدائل الملموسة لتحسين الفعل البيداغوجي في منظومتنا الجامعية.

يؤكد أغلبية الطلبة أن الأسلوب التدريسي المفضل لديهم هو ذلك المبني على المناقشة والحوار وهذا بنسبة 40.98% فهؤلاء الطلبة يرفضون الاتصال ذو الاتجاه الواحد وأن يتحولوا إلى مجرد متلقين سلبيين.

أشارت نسبة 21.72 % من الطلبة إلى أن الأستاذ المثالي لديهم هو الذي يكون متفهماً لطلبته فيشجعهم على الاجتهاد بدل احتقارهم ويحترمهم بدل أن يتسلط عليهم وأن يقترب منهم بدل أن يتعالى عليهم وأن يحفزهم بدل أن يثبط عزائمهم.

نعود للحديث عن أساليب التدريس لنؤكد أن العديد من الطلبة يفضلون أن يشرح الأستاذ الدرس ويبسطه عوض أن يغوص في العموميات ويتمادى في التعقيد المفتعل وذلك بنسبة 16.29%.

يصر طلبة آخرون على ضرورة ربط الأفكار النظرية بأمثلة واقعية لكي تتضح لديهم الأمور وبالتالي يستطيعون توظيفها في الميدان بنسبة 12.34%. يشتكي بقية الطلبة المبحوثين من عدم قدرتهم على تسجيل أقوال الأساتذة وتدوينها وهم يطالبون بحتمية المزج بين الشرح والإملاء وهذا بنسبة 08.64%.

نعمق استناداً إلى معطيات هذا الجدول الصورة التي رسمناها عن سيرورة الاتصال بين عضوين أساسيين من أعضاء النسق الجامعي وهما الأستاذ والطالب، فما لمسناه من إجابات الطلبة المبحوثين وتصريحاتهم هو أن أغلبيتهم يرون أن علاقتهم منعدمة مع الأساتذة وذلك بنسبة 68.59% وهذا يعني أن علاقتهم لا تتجاوز الحضور والاستماع للدرس بدل الاحتكاك بأساتذتهم للاستفادة من الخبرة التي اكتسبوها في الميدان العلمي.

**الجدول رقم(7): يظهر نوعية العلاقة بين الطلبة والأساتذة**

| نوعية العلاقة | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| **علاقة منعدمة** | 2730 | %68.59 |
| **نقاش وتحاور** | 940 | %23.61 |

| | | |
|---|---|---|
| تبادل الكتب | 310 | %07.78 |
| المجموع | 3980 | %100 |

هذا في نظرنا يقلل من فرص التفاعل البيداغوجي اللائق في العملية التربوية ككل، ويبدو لنا أن القواسم المشتركة بين الأساتذة والطلبة غائبة إما بسبب احتقار وازدراء الأساتذة للطلبة وإما بسبب تهاون الطلبة وعدم انشغالهم واهتمامهم بالعلم والمعرفة.

تزيد المعطيات المذكورة من الأمر تعقيداً وتضفي على الجامعة جواً مكهرباً ومجالاً مذبذباً يعيق الاتصال اللازم لإنجاح التعليم الجامعي ويشل الانضباط المناسب للارتقاء بالمستوى المعرفي للطلبة.

والمشكل المطروح هنا هو أن هذه السلبية التي يبديها الطلبة تعكس في الواقع طريقة اشتغال النسق الجامعي ككل لأن سيرورة الاتصال فيه تحكمها ذهنيات متخلفة وذوات لا عقلانية وتعيقها الهوة الشاسعة بين الأساتذة والطلبة. بالإضافة إلى وجود حواجز على مستوى الوعي خاصة من حيث أن مفهوم العلم غائب إلى حد ما في تصور الطلبة فهم لا يدركون مستلزمات التحصيل العلمي وضروريات الاجتهاد المعرفي.

يتبين لنا من خلال هذا الجدول أن الطلبة الإناث أكثر احتكاكاً بالأساتذة فـ 27.67% منهن يناقشن ويتحاورن مع أساتذهن و09.22 % منهن يتبادلن الكتب معهم في المقابل 14.96% فقط من الطلبة الذكور يتناقشون ويتحاورون مع أساتذتهم و04.72% فقط من يتبادل الكتب معهم.

**الجدول رقم (8): نوعية العلاقة بين الأساتذة والطلبة حسب جنس المبحوثين**

| نوعية العلاقة / الجنس | علاقة منعدمة | نقاش وتحاور | تبادل الكتب | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| ذكر | 1020<br>%80.31 | 190<br>%14.96 | 60<br>%04.72 | 1270<br>%100 |
| أنثى | 1710<br>%63.09 | 750<br>%27.67 | 250<br>%09.22 | 2710<br>%100 |
| المجموع | 2730<br>%68.59 | 940<br>%23.61 | 310<br>%07.78 | 3980<br>%100 |

نستنتج من هذه المعطيات أن الطلبة الإناث أكثر عقلانية من الطلبة الذكور فهن أكثر قابلية لتوظيف واستثمار الفرص المتاحة لتحسين مستواهن الدراسي.

نعود للحديث عن نوعية العلاقة السائدة بين الطلبة والأساتذة بصفة عامة لنشير إلى أنها علاقة سلبية لا تخدم الأهداف المسطرة للنسق الجامعي، فمن جهة لا تحفز الأساتذة على العطاء ومن جهة أخرى لا تنمي لدى الطلبة القدرة على المناقشة والمساءلة.

والتفسير السوسيولوجي المناسب هنا هو أن الطلبة يحملون صورة سيئة عن أساتذتهم والأساتذة بدورهم لا يثقون في قدرات ومواهب طلبتهم، أو بالأحرى يخشون المواجهة والاحتكاك المباشر مع الطلبة حفاظاً على الاحترام والتقدير الذي اكتسبوه.

**الجدول رقم (9): يبين السلوكات التي لا يحبذ الطلبة وجودها في الجامعة**

| السلوكات | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| الانحلال الخلقي للطلبة | 1950 | %39 |
| مساومة الأساتذة | 840 | %16.8 |
| المحسوبية والتحيز | 830 | %16.6 |
| تعسف الإدارة | 730 | %14.6 |
| سوء الخدمات | 410 | %08.2 |
| تسلط أعوان الأمن | 240 | %04.8 |
| المجموع | 5000 | %100 |

تتحدد انطلاقا من المعلومات المدونة في هذا الجدول السلوكات والممارسات السائدة في الوسط الجامعي، التي يرفض الطلبة وجودها وينتقدونها بشدة.

لا يحبذ الطلبة الانحلال الخلقي السائد في وسطهم وذلك بنسبة 39% خاصة العلاقات الجنسية غير الشرعية فهي في نظرهم مخلة بالحياء لأنها تقام أمام الملأ فتنقص من احترام الطلبة لبعضهم البعض، ويتضايق عدد لا بأس به من الطلبة من اللباس غير المحتشم للطالبات ومن انتشار ظاهرة التدخين بينهن.

اندهشنا كثيراً من بعض إجابات المستجوبين فـ 16.8% منهم يصرحون بأن الطالبات يخضعن لمساومات بعض الأساتذة، وهذا في رأينا يشوه العلاقة الطبيعية بين الأساتذة والطلبة خاصة إذا أدركنا أن بعضهن أظهرن اشمئزازاً من وجود علاقات جنسية بين الطرفين المذكورين وما زاد الأمر تعقيداً إشارتهن إلى الضغط المستمر والمضايقة المتواصلة.

ما أثار انتباهنا كذلك هو تركيز الطلبة على المحسوبية والتحيّز، بجل أشكالهما وأنواعهما، المتفشيان بين أعضاء المنظومة الجامعية، وهذا بنسبة 16.6 %، ونحن نتصور أن هذه السمات تعكس الذهنيات المتخلفة والعقليات غير المتحضرة.

نواصل سرد السلوكات والممارسات التي لا يحبذ الطلبة وجودها في الجامعة لنقف عند تعسف الإدارة وسوء الخدمات وتسلط أعوان الأمن لننوه بأنها تعيق السير السليم للنسق الجامعي، وتشل التفاعل اللائق بين أعضائه وتنمي الروح السلبية عند الطلبة بدل المبادأة والمبادرة والثقة بالنفس.

يبقى علينا في الأخير الإشارة إلى بعض الدلالات التي تعمق التحليل وتبرز أبعاده السوسيولوجية، ندرجها فيما يلي:

**أولاً:** لمسنا من إجابات المبحوثين أنه تطغى على النسق الجامعي سلوكات وممارسات لا عقلانية وذهنيات بدائية تؤدي إلى اختلالات على مستوى تجسيد الوظائف المسطرة والأهداف المرجوة.

**ثانيا:** تمثل الطلبة لهذه السلوكات والممارسات وتركيزهم عليها يولد لديهم وعياً زائفاً يشوه الحلول والبدائل الواجب تبنيها لتجاوز هذا الوضع اللاتربوي واللاحضاري. كما يقول بورديو: « ...بل لا معنى لهذه الظاهرة من دون هذا الوعي، إذا ما تغير تتغير الصورة عن هذه الظاهرة، وبالتالي تتغير الحقيقة» (درويش، 2003، ص193)

**ثالثاً:** تحمل الانتقادات الموجهة من لدن الطلبة شحنة انفعالية ترفض في شكل من أشكالها الآخر لأنها تصدر في حقه أحكاماً قطعية ومطلقة ونهائية.

**الجدول رقم (10): يبين تمثلات الطلبة للجامعة**

| تمثل الجامعة | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| مكان لاكتساب العلم والمعرفة | 2220 | %39.29 |
| مكان للحصول على شهادة تكسب مهنة وفقط | 1430 | %25.3 |
| موقع تحوير الذهنيات واستيعاب قيم جديدة | 1360 | %24.07 |
| حقل للصراعات الفكرية والسياسية | 530 | %09.38 |
| أخرى | 110 | %01.94 |
| المجموع | 5650 | %100 |

تعتبر التمثلات التي يحملها الطلبة عن الجامعة مدخلاً مهماً للتعمق أكثر في المقاربة المقترحة خاصة من حيث التناقضات الموجودة بين طموحات وآمال الطلبة من جهة والممارسات والسلوكيات المجسدة موضوعياً من هؤلاء من جهة أخرى.

يعتقد أغلبية الطلبة أن الجامعة تمثل مكاناً لاكتساب العلم والمعرفة وذلك بـ 39.29 % وهذا في تصورنا يعتبر وعياً عقلانياً مطابقاً للوظيفة الحقيقية للجامعة. لكن المشكل يكمن في مدى إتباع الطلبة للطرق اللائقة والأساليب الملائمة لتجسيد هذا الوعي ميدانياً وأكثر من ذلك ترسخ لدينا استناداً إلى الجداول اللاحقة أن ممارسات وسلوكيات المبحوثين في المجال الدراسي لم توافق هذه النظرة المتفائلة والرؤية المثالية.

يأتي في المرتبة الثانية تصور المستجوبين للجامعة على أنها مكان للحصول على شهادة تكسب مهنة وفقط وذلك بنسبة 25.3 %، نقدم بهذا الصدد فكرة فحواها أن المشكل عندنا ليس مشكل شهادات بل المشكل ينحصر أساساً في عالم الشغل، فحملة الديبلومات يتحولون إلى مهمشين غير مندمجين في النشاطات الاجتماعية الفعالة.

تمثل الجامعة للعديد من الطلبة موقعاً لتحوير الذهنيات واستيعاب قيم جديدة وهذا بنسبة 24.07 % وهنا لا يفوتنا الإشارة إلى عدة اعتبارات ندرجها فيما يلي:

**أولاً:** تعتبر الجامعة مصدراً لقيم جديدة تخصها كمؤسسة اجتماعية لها وظائف معينة وطرق تسيير محددة وآليات عمل نمطية تتضح أكثر بالنظر إليها كمنتجة أفكار ومعارف ونماذج سلوك.

**ثانياً:** تتصارع قيم الجامعة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بقصد أو دون قصد مع قيم المجتمع ككل، وهذا يمثل في نظرنا جوهر العلاقة الشائكة بين الجامعة كنسق فرعي والمجتمع كنسق كلي.

**ثالثاً:** يدخل الطالب إلى الجامعة وهو محمل بنوع خاص من القيم يختلف باختلاف الأصل الاجتماعي الذي ينحدر منه.

نؤكد في الأخير أن الطلبة أهملوا اعتبار الجامعة كمجال للصراعات الفكرية والسياسية إلا 09.38 % منهم، وهذا في رأينا لا يعكس الواقع الموضوعي فالجامعة عندنا تمتاز بالصراعات السياسية والفكرية والجهوية تظهر تارة وتختفي تارة أخرى.

**الجدول رقم (11): يبين موقف الطلبة من مستقبلهم الشخصي ومستقبل جامعتهم ووطنهم**

| الموقف | | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|
| المستقبل الشخصي | متفائل | 2920 | % 76.84 |
| | متشائم | 880 | %23.15 |
| المجموع | | 3800 | % 100 |
| مستقبل الجامعة | متفائل | 1580 | %41.57 |
| | متشائم | 2220 | %58.42 |
| المجموع | | 3800 | %100 |
| مستقبل الوطن | متفائل | 2790 | %73.42 |
| | متشائم | 1010 | %26.57 |
| المجموع | | 3800 | %100 |

نشير قبل البدء في تحليل معطيات هذا الجدول إلى أن إجابات الطلبة استندت أساساً إلى الحديث النبوي الشريف "تفاءلوا خيراً تجدوا خيراً" ومن ثم فرد فعل المبحوثين لا يعبر في الواقع عن شعورهم الحقيقي بل محاولة لتطبيق هذه المقولة النبوية.

صرح أغلبية المبحوثين بأنهم متفائلون فيما يخص مستقبلهم الشخصي بنسبة 76.84%، وهذا في نظرنا يشير إلى رؤية إيجابية تبرز طموح الطلبة لتحقيق مشاريعهم

المستقبلية رغم الصعوبات والعراقيل التي يجدونها في دراستهم، فالوعي الذي يحملونه يحفزهم ويدفعهم إلى الاجتهاد لضمان مستقبلهم الشخصي.

أما فيما يخص تصور الطلبة المستجوبين لمستقبل الجامعة فهو يمتاز بالتشاؤم وذلك بنسبة 58.42% يعني هذا في نظرنا أن التدهور الكبير الذي وصلت إليه الجامعة من حيث التنظيم والتسيير والخدمات وطرق التدريس أثر بشكل سلبي على رؤى الطلبة إزاء مستقبل المنظومة الجامعية.

أكد أغلبية المبحوثين أنهم متفائلون فيما يخص مستقبل الوطن وهذا بنسبة 73.42% ، فرغم الأزمة التي عرفتها وتعرفها البلاد بقي الطلبة يأملون في مستقبل أفضل للجزائر، وهم يعتقدون أن الأزمة لن تدوم وأن الوطن بخيراته وثروته يدعو إلى التفاؤل والأمل.

**الجدول رقم (12): يبين مدى مراجعة الطلبة لدروسهم**

| مراجعة الدروس | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| بانتظام | 410 | %10.78 |
| من حين لآخر | 1330 | %35 |
| عند قرب الامتحان | 2020 | %54.21 |
| المجموع | 3800 | %100 |

ننتقل انطلاقاً من تحليلنا للمعلومات الواردة في الجدول إلى مسألة لا تقل أهمية عن المسائل المذكورة سابقاً، والمتمثلة في مدى جدية الطلبة في دراستهم واهتمامهم برفع مستواهم الأكاديمي.

لمسنا في إجابات الطلبة عدم توظيف إمكانياتهم وقدراتهم لترقية مستواهم المعرفي وقد تأكد ذلك جلياً في أنّ 10.78% فقط من الطلبة يراجعون دروسهم بانتظام . أما الأغلبية تنتظر قرب الامتحان لحفظ ما هو مدون واجتراره بدل فهمه واستيعابه وهذا بنسبة 54.21%.

يساير الطلبة بهذه الطريقة النظام السائد في الجامعة الذي يمتاز بالجمود واللافعالية هذا من جهة، ومن جهة أخرى توحي إجابات الطلبة بأنهم يهتمون بكل شيء إلا بالمعرفة والعلم.

وهنا مفارقة أخرى تتحدد بأن الجامعة لم تعد تمثل مركزاً للعلم والمعرفة بل مصنعاً للنقاط والشهادات، ومنه على النسق الجامعي أن يغير مقاييس التقييم كي تكون متابعة الطلبة للدروس مستمرة ومتواصلة.

**الجدول رقم (13): يوضّح حجم المطالعات المتخصصة لدى الطلبة**

| المطالعة في التخصص | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| أبداً | 170 | %4.47 |
| نادراً | 1490 | %39.21 |
| غالباً | 1650 | %43.42 |
| دائماً | 490 | %12.89 |
| المجموع | 3800 | %100 |

نواصل التحليل في السياق نفسه للإشارة إلى مدى اهتمام الطلبة بالمطالعة في تخصصهم، ونؤكد أن الكثير منهم  يطالعون الكتب غالباً وذلك بنسبة 43.42 % بالإضافة إلى أن نسبة 39.21 % من الطلبة تطالع الكتب نادراً.

ما آثار انتباهنا هو أن نسبة مئوية ضئيلة من الطلبة تطالع بشكل دائم وهذا بـ 12.89%، ونحن نعتقد أن المطالعة الدائمة والمستمرة تحتاج إلى إرادة وتستلزم تعوّد الطالب عليها منذ الصغر، بالإضافة إلى ضرورة حث الأساتذة طلبتهم على ذلك وتشويقهم وتشجيعهم على الاستمرار والمداومة بتقديم قائمة من المراجع منتقاة بشكل سليم وتأخذ بعين الاعتبار اهتماماتهم وقدراتهم ومستواهم.

هناك نسبة ولو أنها تبدو ضعيفة إلا أنها تحمل دلالة نوعية وهي أن 04.47% من الطلبة لم يطالعوا كتاباً أو مقالاً أبداً يهتم بتخصصهم وكأن الأمر لا يعنيهم، ونحن نتساءل عن مصير هؤلاء مستقبلاً.

نحن نعتقد أن الطلبة الذين لا يطالعون ليست لديهم دوافع ولا حوافز للقراءة المتخصصة، وهم لم يستوعبوا الفائدة المعرفية من هذا الفعل التربوي أي أنهم لم يدركوا طبيعة الفرع الذي يدرسونه ولم يعوا بأن مفتاح النجاح في الدراسة الجامعية يتمثل في المطاعة المنتظمة والقراءة المستمرة.

**الجدول رقم (14): يوضح أسباب تدهور وضعية الجامعة حسب منظور الطلبة المستجوبين**

| الأسباب | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| سوء التسييروالتنظيم | 2180 | %41.84 |
| لا مبالاة الأساتذة | 1110 | %21.3 |
| إهمال الطلبة | 770 | %14.77 |
| غياب الأخلاق | 450 | %08.63 |
| نقص الامكانيات | 440 | %08.44 |
| الصراعات السياسية والنعرات القبلية | 260 | %04.99 |
| المجموع | 5210 | %100 |

تمكننا معطيات الجدول أعلاه من رصد الأسباب التي يعتقد الطلبة أنها أدت إلى تدهور وضعية الجامعة وتخلفها، ومن استقراء خصائص النظرة التي يحملونها ومميزات الجوانب التي يركزون عليها.

يعتقد أغلبية الطلبة أن الجامعة تمتاز بسوء التسيير والتنظيم وذلك بنسبة 41.84% يعبر هذا الموقف الطلابي عن دلالة مؤداها أن تسيير الجامعة يحتاج إلى انضباط ورشادة ومراقبة مستمرة وإلى تفادي الفوضى والمحسوبية وتعسف الإدارة. بالاضافة عليها أن« تتقبل التطوير والتغيير المتسارع في العالم، فمن المنطقي أن تكون هي أول من يتأثر بالمتغيرات التكنولوجية وتتبعها، ويدفعها دلك إلى تطبيق نظم المعلومات الادارية الحديثة.» (مخداني، ج2، 2014)

يصرح العديد من الطلبة أن لا مبالاة الأساتذة تمثل عاملاً من عوامل تدهور وتخلف النسق الجامعي وهذا بنسبة 21.3 %، فهم (أي الطلبة) صرحوا بعدم اهتمام الأساتذة بهم وأكثر من ذلك لا يحفزونهم على الاجتهاد ولا يشجعونهم على بذل المجهودات لتحسين مستواهم العلمي والمعرفي بالإضافة إلى انتشار المحسوبية والمحاباة.

يرى طلبة آخرون أن إهمال الطلبة يعتبر علة من علل إخفاق الجامعة في أداء مهامها وذلك بنسبة 14.77%، فيركز بعضهم على تهاون الطلبة في دراستهم وغش العديد منهم في مختلف الامتحانات وعدم وعي معظمهم بحقوقهم.

تبقى أسباب أخرى لم يوليها الطلبة أهمية كبيرة جداً رغم أنها في نظرنا تبدو ذات تأثير فعال وهي غياب الأخلاق ونقص الإمكانيات ووضع البلاد والصراعات السياسية والجهوية.

نلخص الاستنتاجات المرصودة فيما يلي:

**أولاً:** أثار انتباهنا معطى معبّر مفاده أن أغلبية الطلبة أهملوا اعتبار نقص الإمكانيات كسبب ساهم في تأزم الجامعة، وهذا دليل على تجاهل الطلبة للمعطيات الموضوعية المادية، ربما هم ميالون أكثر للاعتبارات الذاتية.

**ثانياً:** توحي إجابات المبحوثين بشكل مباشر بأن الطلبة في انتقادهم لأوضاع الجامعة يبحثون دون وعي عن مبررات لإخفاقهم بدل التكيف المفيد والتأقلم الفعال.

**ثالثا:** عدم تركيز الطلبة على سبب نراه مثيراً لفضولنا وهو الصراعات السياسية والفكرية والجهوية، التي حوّلت الجامعة إلى بؤرة توتر تفتقد الاتصال العقلاني والمواجهة المسؤولة والتحاور البنّاء.

### 3. النتائج العامة

نفضل في عرض نتائج الدراسة أن نلتزم باعتبار معرفي مفاده أن الاستنتاجات المتحصل عليها لن تقدم كحقائق مطلقة وجازمة بل نطرحها في سياق إشكالي جديد وضمن مساءلة مستمرة تتجاوز الخطاب الضيق والنظرة الأحادية والوثوقية المضللة، ومن ثم ضرورة الالتزام برؤية جدلية شمولية للأمور وبمناقشة مرنة متشعبة للمعطيات.

ارتأينا بالإضافة إلى ما سبق التطرق إلى زبدة هذه الدراسة على شكل نقاط محددة تبتعد قدر المستطاع عن العمومية المملة والتجريد غير المؤسس، ندرج هذه النقاط كالآتي:

– يتمثل أعقد وأعمق مشكل يواجهه الطلبة أن معظمهم ينتسبون إلى فروع أكاديمية لم يفكروا ولم يتمنوا ولم يرغبوا أبداً الالتحاق بها. وهذا في نظرنا يعتبر أول خلل يعيق السير السليم لمنظومتنا الجامعية، والذي يتجسد أساساً في غياب محفزات فعالة ودوافع حيوية تمكن الطلبة من الاجتهاد في طلب العلم والتفاني في الدراسة للحصول على تكوين متميّز.

- يشتكي الطلبة من شروط دراسية متدهورة فمن جهة رداءة الخدمات من نقل ومطعم وإقامة ...الخ ومن جهة أخرى سوء العلاقات الإنسانية السائدة. فكما يتذمر الطلبة من نقص الإمكانيات يتذمرون كذلك من المعاملات السيئة إما من طرف الأساتذة أو الإدارة أو أعوان الأمن أو حتى فيما بينهم.

- لمسنا عند الطلبة عدم الاهتمام الكافي بالدراسة وعدم الرغبة في تنمية قدراتهم الفكرية والمعرفية أو بالأحرى غياب الإرادة والطموح، تجسد ذلك في قلة اطلاعهم على الكتب والدوريات المتعلقة بتخصصهم وهنا بالضبط يبرز بعداً إيديولوجيا يتمثل في تبرير الطلبة لتكاسلهم وتهاونهم وتحميل الأوضاع الصعبة وسوء التنظيم والتسيير داخل النسق الجامعي مسؤولية إخفاقاتهم فعوض إتباعهم لفعل عقلاني يتجاوز الاستسلام ويستبدلونه بتكيف مناسب تستثمر فيه كل الإمكانيات والقدرات والمؤهلات، يخضع الطلبة لأوهام تقلل من دوافعهم فهم مثلاً ينتظرون أيام الامتحان ليراجعوا دروسهم فالحفظ عندهم يعوض الفهم والاجترار يعوض الاستيعاب.

- يحمل الطلبة نظرة سلبية إزاء الأساتذة فقد صرح العديد منهم أن كم هائل من الأساتذة لا يحتكمون على رأسمال علمي يمكنهم من أداء واجبهم على أسلم وجه بالإضافة إلى أنهم يفتقدون إلى بيداغوجية سديدة فأسلوب تدريسهم لا يحفز الطلبة ولا يشجعهم على العمل بجدية.

يشتكي الطلبة بالإضافة إلى ذلك من عدم تفهم الأساتذة لانشغالاتهم وطموحاتهم فمن جهة ينتقد الطلبة تسلط الأساتذة وقسوتهم وتحيزهم ولا مبالاتهم ومن جهة أخرى يحبذ الطلبة أن يقترب الأساتذة منهم أكثر ويصادقونهم وفي بعض الحالات يساعدونهم على تجاوز محنهم ومشاكلهم.

-تمتاز الأحكام التي يصدرها الطلبة المبحوثين بالانفعالية وتشبعها بالجانب الأخلاقي الضيق وإهمالهم لجوانب الكفاءة والعقلانية وهذا ما يضطرنا إلى تأكيد الثقل القيمي لتصورات الطلبة . وهذا إما إزاء الذات أو إزاء الآخر ومن ثم الإشارة إلى بعد إيديولوجي يتمثل في التجزئة والاختزالية والانتقائية فبدل تسليط الضوء على المسائل التي من شأنها أن ترفع من مستواهم المعرفي وتكوينهم العلمي يركز الطلبة على المظاهر (كطريقة لباس الفتيات مثلاً).

وهذا لا يعني أننا نهمل هذه الأشياء المرتبطة بثقافة وهوية المجتمع، ولكن لا يجب أن تأسرنا وتنسينا الأشياء الأخرى التي تتعلق خاصة باتخاذ العلم كأولوية الأولويات.

-ما شد انتباهنا في إجابات المبحوثين هو انتشار الزبونية والمحاباة والجهوية والعشائرية والتحيّز وهذا في رأينا يعكس الواقع اللاحضاري الذي ننشط في إطاره فكأننا في مجتمع بدائي تتناحر داخله قبائل مختلفة لا يجمعها جامع... وقد صور الوسط الجامعي بأنه منقسم إلى طبقات وعشائر وجماعات مصالح.

- لم نلمس عند الطلبة إرادة في التغيير، فالأغلبية الساحقة منهم لا ينتمون إلى أية منظمة طلابية فهم يشكون في فائدتها وجدواها، ولا يريدون مواجهة مشاكلهم ومن ثم يخسرون الامتيازات الهامشية التي يجنونها من الفوضى واللامبالاة السائدة في النسق الجامعي.

يتحدد في هذا الإطار بعد إيديولوجي آخر يتمثل في جانب الجمود عند الطلبة، رغم أنهم يشتكون من وضعيتهم المزرية إلا أنهم لا يجسدون ذلك في سلوكات وممارسات تسهم في تغيير الأوضاع.

-تمتاز عملية الاتصال بين أعضاء النسق الجامعي بالتشنج والتذبذب، فمن المفروض أن يتم تفاعل الأعضاء في إطار الشفافية والصراحة والجرأة بدل الشك والريبة والأحكام المجانية المسبقة. فالطلبة ينطلقون في إصدار أحكامهم على الأساتذة من أرضية أساسها سوء التفاهم والأساتذة يعتمدون في تعاملهم مع الطلبة على احتقارهم والإنقاص من شأنهم.

-يحكم الطلبة على مستقبلهم المهني بأنه ضبابي وغامض وهو حكم ينبع من إدراكهم لانخفاض قيمة الشهادة الجامعية. ويتطلب الدخول إلى عالم الشغل اعتبارات تتجاوز الكفاءة والمهارة لتنحصر أساساً في الرأسمال الاجتماعي الذي بحوزة الفرد.

-ينتقد الطلبة بعضهم البعض من زوايا مختلفة فمنهم من يركز على الانحلال الخلقي ومنهم من يركز على التهاون في مجال الدراسة وآخرون على عدم وعي الطلبة وعدم قدرتهم على المطالبة بحقوقهم.

-لم نلمس عند الطلبة ميلاً واضحاً إلى طلب العلم وكأن الجامعة لم تعد منتجة للمعارف بل مصنعاً للشهادات وأكثر من ذلك إن الجانب الكمي المتمثل في حجم

الشهادات الممنوحة يعتبر مؤشراً تقاس على أساسه فعالية المنظومة الجامعية ونجاعتها بدل الجانب النوعي الذي يمثل مطلب العصر.

## خاتمة

يوضح تعدد وجهات النظر واختلاف زوايا الطرح بعداً إيديولوجياً يتمثل في الرؤى الضيقة والأفكار الأحادية والانطباعات الشخصانية التي لا تعكس الواقع الموضوعي بكل تشعباته وتلوناته بل تعكس الوعي الزائف لهؤلاء الطلبة.

ما زاد الأمر تعقيداً هو أنه فتحت في السنوات الأخيرة العديد من الجامعات في كل التخصصات دون مراعاة مطالب الاقتصاد والسؤال المطروح هو:

هل بإمكاننا تحقيق توازن بين تضخم عدد خريجي الجامعات وتضاؤل فرص العمل؟

وصلنا من خلال ما سبق إلى جدلية مثيرة للانتباه وهي أننا إذا انطلقنا من إخفاق الطالب وصلنا إلى إخفاق الجامعة وإذا بدأنا بفشل الجامعة نصل إلى فشل الطالب. وهذا معناه أن المشكل أعمق والأزمة أغور تجرنا للحديث عن تخلف المجتمع ككل خاصة من حيث الذهنيات وغياب العقلانية.

و إذا أردنا أن يحصل التغيير ينبغي كما قال بورديو: «اكتشاف القوانين السائدة في العالم الاجتماعي ثم استغلال التناقضات الموجودة في هذا العالم وخصوصا عندما يعاني أزمة موضوعية .» (عبد الكريم درويش، مرجع سابق، ص 190)

## المراجع


1. الجهني محمد، 2015. التعليم... استثمار في الرأس المال البشري، دار الأمل للنشر والتوزيع، السعودية.
2. الخلايقة عبد الكريم؛ عفاف البابيدي، 1995. طرق تعليم التفكير للأطفال، ط2، عمان: دار الفكر.
3. اليونسكو، 2000. اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، التعليم ذلك الكنز المكنون، مركز مطبوعات اليونسكو.

4. بوخلخال عبد الله، 1993. "الجامعة الجزائرية و وظيفتها البيداغوجية"، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7.

5. بو عبد الله لحسن،1998. محمد مقداد، تقويم العملية التكوينية في الجامعة،الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.

6. جعفر جمل الليل محمد، 1993. دراسة لبعض المتغيرات المرتبطة بالتوافق مع المجتمع الجامعي طلاب وطالبات جامعة الملك فيصل المجلة العربية للتربية، العدد1.

7. حسين عبد المنعم محمد،2011. إشكالية التعليم إشكالية ثقافية"، ثقافة، سوريا، عدد2.

8. درويش عبد الكريم،2003. "بيير بورديو بين المادية الماركسية والروحانية الفيبيرية، نحو اقتصاد سياسي للظواهر الرمزية"، عالم الفكر، عدد3،مجلد31، يناير-مارس.

9. فوكوياما فرانسيس، 2000. "الانهيار العظيم: الطبيعة الإنسانية وإعادة النظام الاجتماعي"، عرض: عامر سلطان،الراية: ملفات القرن العشرين، عدد6475، 29 يناير.

10. مخداني نسيمة،2013 . "مجتمع المعرفة"، حوليات جامعة الجزائر، العدد 18.

11. مخداني نسيمة، 2009." الجامعة و الإبداع"، حوليات جامعة الجزائر، العدد 24، ج2.

12. مخداني نسيمة، 2014. "المثقف و الجامعة في ظل العولمة"، حوليات جامعة الجزائر،العدد 25، ج1.

13. مخداني نسيمة، 2014. "التعليم العالي في ظل عصر مجتمع المعرفة"، حوليات جامعة الجزائر،العدد 25، ج2.

14. مخداني نسيمة، 2013. الجامعة الجزائرية بين الأصالة و المعاصرة، ط1،الجزائر: دار قرطبة.

15. يسر عبد الغني، 2004. "الوظيفة الثقافية في عصرنا الراهن"، التربية، البحرين، العدد 12.

16. Boudon Raymond, 1990. Dictionnaire de la sociologie, Paris : Larousse.

17. Combessi Jean-Claude, 1999. La méthode en sociologie, Paris : la découverte, 2éme éd.

18. Coulon Alain, 1997. Le métier d'étudiant : l'entrée dans la vie universitaire, Paris : PUF, 1er éd.

19. Grawitz Madeleine, 2001. Méthodes des sciences sociales, Paris : Dalloz, 11éme éd.

20. Lebeaume Joël, 2000. L'éducation technologique, Paris : ESF.

21. Mairi Liés, 1994. Faut-il fermer l'université ?, ENAL, Alger.

22. Touraine Alain, 1978. Lutte étudiante, Paris, seuil.